

أدبيات الأوبئة والأمراض ببلاد المغرب من خلال كتب الرحالة والأجانب Epidemics and Diseases Literature in the Maghreb in foreign traveler books

بن عمر حمداو

جامعة أحمد بن بلة وهران 1 (الجزائر). hamdadou.benamar@univ-oran1.dz

تاريخ النشر: 2021/10/30

تاريخ القبول: 2020/08/31

تاريخ الاستلام: 2020/05/22

ملخص

لقد اجتاحت بلاد المغرب خلال العصر الحديث عددا من الأوبئة والأمراض، وقد كانت امتدادا لأوبئة ظهرت خلال العصور الوسطى ببلاد المغرب الإسلامي، مخلفة آثارا حادة في البنية الاقتصادية والاجتماعية. مشكلة بذلك أحد عوامل الهدر الديمغرافي، الذي انعكس سلبا على الوضع الصحي والمعيشي آنذاك. وتستمد ظاهرة الأوبئة والأمراض أهميتها من خلال الآثار والعواقب التي تنعكس على البلاد، مجتمعا وسلطة، ومن منظور الآخر ورؤيته لهذه الظاهرة التي تكون أحيانا سببا في قلب موازين القوة بالعالم. إن هذه المصادر (كتب الرحالة والأجانب) تعكس رؤية الرحالة والأجانب لظاهرة الأوبئة والأمراض، خصوصا وأن هذه المصادر تحوي معطيات تاريخية حية عن واقع هذه الأوبئة والأمراض وآثارها السلبية على الواقع المعيشي الاجتماعي والاقتصادي، كما تصور لنا المشاهد اليومية من مرض وخوف وفزع، وطرق مجابهتها دينيا وعلميا.

كلمات مفتاحية: بلاد المغرب - الأوبئة والأمراض - الظاهرة - الواقع - الرحالة والكتب الأجنبية.

Abstract:

During the modern era, the Maghreb countries were devastated by epidemics and diseases, which were an extension of the ones that emerged in the Middle Ages in the Islamic Maghreb, with serious effects on the economic and social structure, causing one of the factors of demographic decline, which was reflected negatively at that time. The phenomenon of epidemics and diseases takes on its importance through the effects and consequences that affect the country, society and authority, and from the point of view of the other, and its vision of this phenomenon, which sometimes transforms the balance of power in the world. These sources (travelers and foreign books) reflect the vision of travelers and foreigners facing epidemics and diseases, especially since these sources contain living historical data on the reality of these epidemics and diseases and their negative effects on life. social and economic, like the daily scenes of illness, fear and panic, as well as the means of combating these epidemics by religion and science.

Key words: The Maghreb Countries – Epidemics and Diseases- phenomenon – Reality - travelers and foreign books.

مقدمة:

لقد اجتاحت بلاد المغرب خلال العصر الحديث عددا من الأوبئة والأمراض، وقد كانت امتدادا لأوبئة ظهرت خلال العصور الوسطى ببلاد المغرب الاسلامي، مخلفة أثارا حادة في البنية الاقتصادية والاجتماعية. مشكلة بذلك أحد عوامل الهدر الديمغرافي، الذي انعكس سلبا على الوضع الصحي والمعيشي آنذاك. وتستمد ظاهرة الأوبئة والأمراض أهميتها من خلال الآثار والعواقب التي تنعكس على البلاد، مجتمعا وسلطة، ومن منظور الآخر ورؤيته لهذه الظاهرة التي تكون أحيانا سببا في قلب موازين القوة بالعالم.

ولعل من بين الدراسات القيمة التي اهتمت بأدبيات الأوبئة والأمراض كتاب الباحث حسين بوجرة "الطاعون وبدع الطاعون: الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير" والذي يعد مساهمة جادة في مسار الدراسات والأبحاث التي تناولت الأزمات الديمغرافية في المجالات المغربية. والتي تحدثن عن أدبيات الطواعين والتحرز منها ببلاد المغرب. أو انتاج العلماء والمؤرخين ونصوص الفقهاء حول الأوبئة.

إنّ هذه المصادر (كتب الرحالة والأجانب كنموذج) تعكس رؤية الرحالة والأجانب لظاهرة الأوبئة والأمراض، خصوصا وأنّ هذه المصادر تحوي معطيات تاريخية حيّة عن واقع هذه الأوبئة والأمراض وآثارها السلبية على الواقع المعيشي الاجتماعي والاقتصادي، كما تصور لنا المشاهد اليومية من مرض وخوف وفزع، وطرق مجابهتها دينا وعلميا.

ولكن لا يخفى على أحد أن ظاهرة الأوبئة والأمراض في غالبيتها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأمر المجاعات والكوارث الطبيعية. إن هذه القضايا لا تزيد المؤرخ إلا فضولا وحبا في زيادة البحث والتنقيب عن تفسيرات فعلية وعقلية وموضوعية؛ يمكن الاعتماد عليها في تحليل بيانات الظاهرة الوبائية.

وكمساهمة منا في موضوع المؤتمر الدولي الافتراضي الأول حول الأوبئة والأمراض بالجزائر وبلاد المغرب خلال القرنين (14-19م)، حاولنا أن نتناول هذه الورقة البحثية من خلال النقاط التالية:

- مقدمة
- الأوبئة والأمراض في أدبيات الرحالة المغربية والأجانب
- الأوبئة والأمراض والاجراءات الصحية الاحترازية

• الأوبئة والأمراض: آراء ومواقف

• خاتمة

إنّ ما تحمله كتب الرحالة المغاربة أو الأجانب من معلومات وإشارات مهمة، قد تساعد الباحث على استقصائها وتوظيفها ضمن مجال بحثه؛ بل تساعده على فهم الواقع المعاش خلال تلك الفترة وانعكاساتها على السلطة والاقتصاد. إنّ مثل هذه المصادر من شأنها أن تكون أداة مساعدة لتشكيل قاعدة مكتبية للدراسات الحالية، خاصة تلك التي تتعلق بالتاريخ الديمغرافي لبلاد المغرب خلال الفترة الحديثة.

إنّ ما تحمله كتب الرحالة والأجانب من إشارات مهمة يمكن الاعتماد عليها في الكتابات التاريخية العامة والمحلية على حد سواء، "لأنّ الصّورة الكاملة للبلدان والدول، والعلاقات بينها، لا تكتمل إلا إذا عرفنا كل صغيرة وكبيرة، ودقيقة وجليلة، ومن ذلك أحوال المرض والصّحة وإسهام الناس في تدبير شؤون حياتهم في حالة السلامة وغيرها"(حدادي، 1999، ص.37). وهذا دليل واضح على مدى أهمية كتابات الرحالة فهي تصور لنا جوانب مهمة من الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والحضارية وعادات وتقاليدها وغيرها، من شأنه يخدم نظم المجتمعات وأحوالهم. بيد أن هذا لا يعني أننا نعدم أيّ محاولة في هذا الموضوع، فلقد تركت ظاهرة الأوبئة والأمراض وارتباطها بالمجاعات والكوارث الطبيعية آثارها في مختلف المصادر والوثائق عند المغاربة والأجانب على حد سواء.

1. الأوبئة والأمراض في أدبيات الرحالة المغاربة والأجانب:

لقد كُتبت في تاريخ بلاد المغرب الحديث هموما دراسات وأبحاث جادة وعديدة؛ عالجت مواضيع شتى ومن جوانب مختلفة، بينما لا يزال البحث في تاريخه الديمغرافي يحتاج إلى اهتمام وتنويه، حتى نفهم عقليات وذهنيات النخبة العالمة ورؤيتها للظاهرة الوبائية عبر حقب زمنية معينة. وحتى يمكننا إدراك الفهم السليم لكثير من الإشارات الواردة في تلك المصادر، والاستفسار عن العوامل التي لها علاقة بالهدر الديمغرافي وعلاقتها بالحروب وبالأوبئة والأمراض والمجاعات والكوارث الطبيعية. وكلها عوامل تتحكم في مدى استقرار البلاد سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا. فمثلاً قد نتج عن الكوارث نقص فادح في المحاصيل الزراعية التي كانت تشكل الثروة الأساسية للمغرب وحتى بلاد المغرب، وهو ما كان له انعكاس على عجز السكان عن أداء الضرائب وغلاء الأسعار(المشرقي، 2017، ص.25).

ومن الصعوبة بمكان تتبع الظاهرة الوبائية ببلاد المغرب في ظل غياب المصادر المحلية؛ فهي وإن وجدت فقليلة إذا ما قورنت بكتب الرحالة والمسافرين والأجانب ورجال الدين، فهي أكثر مصداقية وهي مصدر اعتمدت عليه الدراسات القيمة التي أنجزها بعض الأطباء فيما بعد أمثال: بيرابان (Biraben)، مارشيك (Marchika)، راينو (Raynaud)، قويون (Guyon)، بيربروقجيه (Berbrugger).

وتجدر الإشارة، إلى أنّ فترة القرن (17م) تميزت بتكرارية الطاعون واستمراريته، حيث عانت إيالة الجزائر من اجتياح لهذا الوباء، أكثر من إيالة تونس التي تضررت هي الأخرى من الأوبئة بنسبة 26 سنة معدية، بينما كان نصيب المغرب الأقصى من الطاعون فترة لا تتجاوز 12 سنة" (Boubaker, 1995, p.313). ومن بين الرحلات المغربية التي تناولت موضوع وباء الطاعون عام (1012هـ/1603م) رحلة اليفرنى، هذا الوباء الذي طال مراكش، والذي توفي به المنصور بعد أن انتهى من قضية ابنه المأمون، حيث يسرد لنا اليفرنى نصا حول ذلك: "كان ابتداء مرض المنصور رحمه الله تعالى بمحلته في ظهر الزاوية بظاهر فاس الجديد قريب منه، يوم الأربعاء الحادي عشر من ربيع الأنور المبارك من عام اثني عشر وألف. فدخل محله راجعا إلى فاس الجديد، ولزم الفراش إلى ليلة الاثنين الموالي لتاريخه، فتوفي رحمه الله، ودفن يوم الاثنين عند صلاة العصر، وكانت وفاته بالوباء". (اليفرنى، 1998، ص.279)

وما يمكن الإشارة إليه هو أنّ تظافر المجاعة وبعض الكوارث الطبيعية كالجفاف مثلا مع الوباء ستكون له عواقب وخيمة على السكان والاقتصاد والسلطة آنذاك. وكمثال على ذلك يصف لنا القادري في رحلته أنه في (1607-1608م) أنّ مدينة فاس ابتليت بمجاعة أخرى. حيث حكى القادري أنّه كان هناك حكيما أندلسيا وكان صاحب أحوال "فجاء مرة إلى بعض أفران فاس وجعل يقول لصاحب الفرن اغلق فرانك، وإذا بغلاء عظيم في القرب وهو غلاء سنة أربع وعشرة وألف (1605م)، فغلق ذلك الفرن وكثير من أفران فاس، وكان يمر بالطريق ويقول: الناس يأكلون أولادهم، ويكررها. فجاء ذلك الغلاء فكان الناس يأكلون في الأسواق" (القادري، 1984، ص.224).

وفي سنة (1607م) عرفت قسنطينة ظهور وباء الطاعون توفي مصطفى القابجي بوباء الطاعون (عمورة، 2002، ص.98)، وفي عام (1620م) وباء الطاعون أدى إلى مقتل حسن باي والي قسنطينة آنذاك (العنزي، 2009، ص.33) وقد يكون هو الطاعون الأعظم أو (الحبوبة الكبيرة). وفي عام (1622م) امتنعت برشلونة من تلقي شيء مما يرد عليها من الجزائر. ووردت الإشارة في العام

نفسه إلى ظهور الطاعون في قسنطينة وفي بسكرة، وتواصل إلى غاية (1623م) على الجزائر حيث هلك فيه ما يقرب عن 50.000 و60.000 شخص، وإن بدا الرقمان مبالغ فيهما - كان من جملتهم القنصل الفرنسي، كما ورد الحديث عن تكراره ما بين عامي (1624 و1626م) وفيه كانت وفاة الباشا. وقد يكون انتقل إلى أوروبا في قريب من هذا التاريخ (Marchika, 1927, p.40). ولعلّ هو نفسه الذي ضرب شمال إفريقيا وأروبا المتوسطية.

قد يبدو أن الوباء توقف بعدها؛ إذ أن احتمال أن يكون الطاعون اختفى كلياً في عام (1630م)، ليعود إلى الظهور ما بين سنتي (1631 و1632م) يظل احتمالاً ضعيفاً جداً على حد زعم برنار روزنبرجي (برنار روزنبرجي وآخرون، 2010، ص.133).

ومن بين رحلات المغاربة أيضاً رحلة أبو سالم العياشي الذي نجده يتتبع انتشار وباء الطاعون في عدة مناطق في طريق الحاج وأخبر به لما اجتاحت بسكرة سنة (1060هـ/1650م)، وفي سنة (1074هـ/1663م)؛ حيث نجده يقول: "ولما رجعت من الحجاز في سنة ستين وجدته (أحد الصالحين) قد توفي بالوباء الواقع في تلك السنة، وكان وباء مفرطاً، مات به في بسكرة على ما قيل لنا نحو من سبعين ألف نفس، وقد دخلنا المدينة عقبه، فوجدنا أكثر حوماتها خالية ومساجدها دائرة" (العياشي، 2006، ص.439).

إنّ هذا الوصف الدقيق لأبي سالم العياشي لحالة سكان البلاد وعزمهم على مغادرة بلادهم بسبب الوباء، ومن الصدف أن يحضر العياشي رحيلهم وقدم مشهد فرارهم الجماعي وهم في حالة مزرية من الجوع. مما جعله يصدر فتواه في موضوع الفرار من الوباء. ولقد امتدّ هذا الطاعون إلى أهل الأغواط واجتاحت المسغبة قراهم سنة (1074هـ/1663م) (العياشي، 2006، ص.417). ومن العلماء الذين هلكوا بهذا الوباء عبد الكريم الفككون عن عمر يناهز خمس وثمانين سنة (العياشي، 2006، ص.206). ويبدو أن هناك حظ وافر بالنسبة لرجال الدين والأسرى، فهم الآخرين لم يسلموا من هذا الوباء لاسيما وباء (1679م)، حيث يورد لنا الأسير مويط في رحلته نصاً لأحد الأسرى يصف لنا فيه هذا الوباء بقوله: "لم ينج بعضنا أيضاً من ذلك الداء (الوباء) وأصيب من بين المائتي أسير نحو خمسين لم ينج منهم إلا الثلث، ذلك أننا وإن كنا محبوسين جميعاً فإن الآخرين لم يصابوا بأي أذى" (مويط، 1990، ص.39).

ويذكر أبو حامد العربي المشرفي في رحلته المسماة "نزهة الأبصار عن هذا الوباء قوله: "ومنهم من يكون صحيحاً واقفاً يمشي فيعثره الموت فيسقط ميتاً في الحين تعددت الأسباب والموت

واحد ويسمون هذا الوباء "ببو اقلّيب" بالتصغير و"ببو ازيوطّة" والعجم الأطباء يسمونه الريح الحمراء، وفي عام اثنين وستين كان عاما هذا الوباء أيضا بهذا الوصف أيضا، وفي عام خمسة وثمانين كان بمدينة فاس بهذا الوصف. وذكر صاحب الفوائد الجمة أنّ الطاعون وقع بالمغرب سنة خمس وستة إلى ستة عشر سنة وألف وأول ما وقع بالحواضر، فأما أهل فاس فصبروا وتلقوا الأمر بالتسليم فارتفع عنهم من سنته ولم يعد إليهم، وأمّا أهل مراكش وتروانت فتركوا له في البادية والجبال فكان أكثر وقوعه بهم وانقرض جل أعيانهم حتى استولى الخراب من ذلك على الحاضرين ثم لم يزل يعود إليهم سنة بعد سنة وهم يفرون منه مدة من اثني عشر عاما" (المشرفي، مخطوط، ص.501).

ويواصل العربي المشرفي حديثه عن العلماء الذين قضى نحيم بسبب الطاعون قوله: "ومنهم العلامة الخير إمام الأئمة في التحقيق أبو عبد الله السيد جلول ابن رور براءين مهملتين المستغاني، كان عالما عاملا يخشى الله ويتقنه...ومات بالطاعون في مدينة وجدة" (المشرفي، مخطوط، ص.457).

أمّا خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، كانت البلدان المتوسطية أشد عرضة لأخطار العدوى ومهددة باستمرار الوباء. فمن سنة (1670 إلى 1700م)، تفشى الوباء بقوة وبحدة في تونس والجزائر. كما ظهر بمصر بعد سنتين، وانقضّ على مرسيليا على الضفة الشمالية من البحر المتوسط. كما نجد أن هناك ظهور متكرر لظهور الأوبئة (الطاعون) حيث " بلغ مجموع السنوات التي اعتبرت موبوءة خلال هذا القرن 63 سنة في مدينة الجزائر وحدها، ناهيك عن باقي أقاليم الإيالة. ففي سنوات (1738م، 1740م، 1741م) أصيبت الجزائر، وتلمسان وإقليم وهران بالوباء.

كما نجد الحسن اليوسي في رحلته يتحدث عن هذا الوباء، ويذكر المناطق التي صادفه بها، (وهي مسرة وطرابلس وقابس)، كما تحدث عن ذلك أبو مدين الدرعي في حجّته سنة (1153هـ/1740م)، حيث اجتاحت مصر وتسبب في غلاء الأسعار وفتك ببعض رفاقه. ولقد قدرت نسبة الوفيات في مدينة الجزائر في هذه السنة ما بين 200 و400 وفاة يوميا (Renaud, 1939, p.300) ويذكر صاحب الحلل البهية أنه بعد تثبيت المولى عبد الله سلطته في بعض المدن والنواحي، " ظهر الطاعون وفشا في المغرب، وبلغ الموتى في اليوم الواحد بفاس ما يزيد على ثلاثمائة، وذلك في رجب سنة ثلاث وستين ومائة وألف". أي في حدود سنة (1750م) (المشرفي، 2016، ص.13). بعد

ذلك تكرر تراجعته وخموده (1762-1764م)، قبل أن يتراجع مرة أخرى لفترة طويلة ناهزت الأربعة عشر سنة (1764-1778م) (القشاعي، 2001، ص. 141). حيث لم تسجل عودة الطاعون إلا في سنة (1778م) (مسلم، 1974، ص. 24)، ليستمر ظهوره ستا وعشرين سنة (1778-1804م) وقد انتشر في جميع الجهات، وكانت حدته شديدة على السكان. كما أخبر ابن عثمان المكناسي في رحلته "إحراز المعلى" عن الوباء حيث وجده (الوباء) في تونس سنة (1200هـ/1785م) وقضى على حوالي ثمانين ألف شخص، وفي أثناء عودته على المغرب سنة (1202هـ/1787م) لاحظ انتشاره بالجزائر، حتى أن الدفن بلغ يوميا خمسمائة من الموتى. وقد أكد جميع الرحالين ارتباط هذا الوباء بغلاء القوت وما يترتب عنه من اضطراب نفسي وضيق حال للسكان ومحاولة الفرار والنجاة بأنفسهم (مكامان، 2014، ص. 162).

من المؤكد أن بلاد المغرب استمرت تعاني لمدة طويلة من آثار الأوبئة والأمراض وما صاحبها من آثار الكوارث الطبيعية (المجاعة السابقة). ففي سنوات (1792م و1797م) ظهر وباء الطاعون من جديد في كل من الجزائر وتونس (Marchika, 1927, p.167).

ثم يظهر وباء الطاعون من جديد خلال سنوات (1805-1815م). وفي غالبية الأحوال يكون ملازما لحدوث مجاعات كانت آثارها الديمغرافية كارثية على السكان (Marchika, 1927, p.167)، فقد نعتها بعضهم على أنها كانت أخطر من الحروب (Largueche, 1993, p.10).

وفي كتاب "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان" يصف أحمد بن أبي الضياف وباء 1818م بقوله: "وفي شوال من السنة 1233 (أوت 1818م) وقع في الحاضرة طاعون، وأول من نبه له حكيم من مسلمة الإفرنج اسمه رجب الطبيب. ولما أخبر الباي بذلك أمر بضربه وسجنه كالمجرمين، فامتحن بسبب علمه. ولم يلبث أن فشا خطبته (يقصد الطاعون) ومات به من أعيان أهل العلم ووصل عدد الموتى به في الحاضرة إلى أكثر من الألف في بعض الأيام، ودام نحو العامين" (ابن أبي الضياف، 2000، ص. 165).

كما تعد الكناشات والتقييدات التي احتفظ بها عدة من العلماء، من بين المصادر المهمة التي يمكن للمؤرخ الاجتماعي أن يعتمد عليها، كونها تحفل بذكر لأهم الأحداث والوقائع التي يحتاجها المؤرخ، فهي بمثابة كراس لتسجيل الاهتمامات الآنية والعارضة. والكناشة التي بين أيدينا للفقيه والقاضي ادريس بن المهدي المنافي المشاط (ت1730م). فهذا التقييد يغطي إحدى وعشرين سنة تبدأ بالطاعون الكبير الذي أصاب البلاد (المغرب) ابتداء من أواخر سنة (1798م) وينتهي

بسنة (1819م) (المنصور، 2998، ص. 46). وفي سنة (1822م) ظهر وباء الطاعون الذي مات به حافظ المغرب الأوسط آنذاك أبو راس الناصر المعسكري، في عهد ولاية الباي حسن بن موسى، حيث يذكر صاحب كتاب أنيس الغريب والمسافر قوله: "وحدث في عهده وباء عظيم تكررت عودته، ومات به خلق كثير، وممن مات به حافظ العصر أبو راس محمد بن احمد بن عبد القادر الراشدي المعسكري يوم 15 شعبان سنة 1238هـ/1822م" (مسلم، 1974، ص. 30).

"فالتقييد يهتم بأشياء قد يعتبرها المؤرخ التقليدي تافهة وهامشية مثل التقلبات المناخية وإتلاف الجراد، للمزروعات وما يترتب عن ذلك من غلاء في الأسعار"، لذلك فهي تشكل مصدرا مهما للباحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي. خاصة بالنسبة لفترة يشتكي فيها المؤرخون في تاريخ المغرب غياب الكثير من المصادر والمعلومات. حيث يعطي لنا المشاط صورة عن السيكلولوجية الاجتماعية السائدة عند مطلع القرن (19م). وهي صورة قاتمة يسودها التشاؤم ومناخ ما قبل قيام الساعة. حيث تشير الوثيقة أنه تزامنا مع هذا الوباء ابتلي المغرب بكارثتين إضافيتين وهما: الجراد ثم يعقبها فيضان غزير سنة (1214هـ/1799م) (البزاز، 1992، ص. 89). ويمدنا التقييد بمعلومات دقيقة كذلك حول الأوبئة التي أصابت المدينة والبلاد ككل.

وتبع آية الجوع هذا الوباء فمات به العدد العم، والملاّ الجمّ من أعيان فاس، ومنهم ابن السلطان المؤيد، والخلق الأحمد أبو العباس مولاي أحمد من أولاده المرشحين للخلافة، ومن ظهرت نجابته في الأحكام وجلس لها في دار الخلافة، وخضعت له الحكام أحسن السيرة مع أتباعه واليا له ومن رضى السلطان كان الأمر مهياً له، ففاجأه الجمام، وانتقل لدار السلام ليلة الأحد الحادي والعشرين من صفر الخير عام (1285هـ/1868م) بعد غروب الشمس، وفي ذلك الوقت كنت بطالعة فاس راجعا من عياده مريض، فاعتراني من عويل أصحابه، وصراخ أهله ما ذكرني أنّ باب الموت يسلكه الملك والمملوك، والغني والصلعوك، فوقفت وأنشدت (المشرقي، مخطوط، ص. 5) هذه:

أَلَا خَلَّى السُّرُورَ مُبْتَغِيهِ وَقَفَّ تَبْكِي الشَّرِيفَ وَابْتَكِيهِ
أَلَيْفٌ لَا يُمَلُّ لَهُ حَدِيثٌ وَصَفٌّ لَا يَدُلُّ عَلَى سَفِيهِ
فَمُرِيدٌ لَا يَجُودُ بِهِ زَمَانٌ وَكَهْفٌ لَا يُقَابِلُ بِالشَّيْبِ
مَوْلَايَ أَحْمَدُ الْمُحْمَدُ فِعْلًا فَتَى الشُّهَدَاءِ كَانَ لِمُرْتَجِيهِ
وَقَفْتُ بِبَابِهِ وَالدَّمْعُ هَائِمٌ أَخَا قَلْبِي بِفِرْقَتِهِ أُوِيهِ

فَلَمْ أُبْصِرْ سِوَى لَوْعٍ وَنَوْحٍ وَغَيْدٍ حَاسِرَاتٍ تَنْتَبِيهِ
سَدَلْنَ اللَّيْلَ فَوْقَ الصُّبْحِ لَمَّا سَهَجَنَ دَمَ الْعَوِيلِ مِنَ الْوُجُوهِ
وُجُوهًا كَانَتْ مَنَظَرُهَا شُمُوسًا فَأَضْحَتْ ذَاتَ مَنَظَرٍ كَرِيهِ
أَلَا لِيَبْكِيهِ الْإِسْلَامُ هَمًّا تَلْتَمِ إِذَا هَذَا يَعْشَى عَلَيْهِ

2. الأوبئة والأمراض والاجراءات الصحيّة الاحترازية:

إنّ المتمعن في كتاب " أقوال المطاعين " لأبي حامد العربي بن علي المشرفي هو في الحقيقة صورة واضحة المعالم لمدونات ومصنفات النخبة العالمة خلال تلك الفترة، تعبر من خلالها عن الواقع المعاش آنذاك، كما تصور عقليات وذهنيات المجتمعات المغربية إزاء تلك الأوبئة والأمراض وتمثلاتها في الماضي والحاضر. وباعتبار المشرفي ابن بيئته وعصره فقد استطاع إلى حدٍّ ما في إبداء تصور أولي لكتابه من خلال تصنيفه إلى مقدمة وسبعة فصول فخاتمة، وهي الطريقة التي دأب عليها من سبقوه ومن عاصروه، من خلال ربطه للمضامين السياسية بالسياق التاريخي العام الذي كتبت فيه تلك المصنفات (أقوال المطاعين). فالمؤلف في بداية كتابه يستعرض الوباء الذي عايشه انطلاقا من مناسبتين وباء الطاعون والكوليرا في موجته الأولى (1834م)، والموجة الثانية (1850م) (الفرقان، 2014، ص. 97). قبل أن يقسّم العربي المشرفي كتابه إلى:

الفصل الأول: معنى الوباء لغة واصطلاحا.

الفصل الثاني: هل له وقت يغلب وقوعه فيه أو لا وقت له، والأمكنة التي يدخلها الوباء ولا يدخلها الطاعون؟.

الفصل الثالث: في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة فيد الدالة على الشهادة به، وعدة الشهداء، وتفاوت مراتبهم، وخصائص الشهيد وما يشترط لتحصيل الشهادة به، والجواب عن عدم دخوله مكة والمدينة مع كونه رحمة وشهادة.

الفصل الرابع: في ما تعل جبه أنواعه والرُّقى التي ترقى بها تلك الأنواع، والأدعية المأثورة عن العلماء فيه وبها يدعو الداعي.

الفصل الخامس: في ما يقع الججر به للصّحيح في وقته.

الفصل السادس: في عدم الفرار من أرض حلّ بها والإقدام لأرض هو بها، والأسباب الداعية له.

الفصل السابع: فيما يذكر حول الجنازة في التشيع للمقابر أو تحمل بالسكوت، وهل هذا البواء من أشرط الساعة؟.

أما فيما يخص الاجراءات الصحية الاحترازية، فيمكن أن نقسمها إلى اتجاهين: اتجاه الطب الشعبي، فقد كانت مستوحاة من الطب التقليدي من وسائل علاج كانت متداولة آنذاك، وهي في مجملها عبارة عن مجموعة من المعارف والسلوكات، اكتسبت عن طريق التجربة المعاشة، وعلى ما كان يحكى ويروى ويكتب لدى الأطباء والحكماء الأقدمين. لقد كانت وسائل العلاج التقليدية (الشعبية) خلال فترات الأوبئة تتوزع بين علاجات موضعية آنية (بين تبخير وشم كالقطران، الكبريت، والشمع الخام...) واستهلاك للأدوية المستخلصة أساسا من النباتات والأعشاب الطبيعية، وبين العلاجات الروحية كتعليق التمام والتعاويد وقراءة الأدعية والأذكار (الفرقان، 2014، ص. 106).

واتجاه ثاني على مستوى التدابير والإجراءات الصحية المتخذة من طرف السلطة، نظرا للوضع العام والسائد آنذاك كان من الضروري اتخاذ بعض التدابير والإجراءات الصحية المتعددة الأشكال؛ بغية الحد من انتشار الأوبئة والأمراض. وقد اعتبرت تلك الإجراءات رادعا مهما من شأنه أن يقوض مسار انتشار تلك الأمراض، التي كان لها انعكاس واضح على الساكنة آنذاك. لقد كانت هذه الحزمة من الإجراءات الصحية المتخذة انعكاسا مؤثرا على السير العادي للأنشطة الاقتصادية والاجتماعية.

كما يشير المشرفي إلى التدمير الحاصل من الأخبار الرائجة حول مدينة تلمسان خلال وباء الكوليرا لعام (1850-1851م)، حول منع السلطات الفرنسية الخروج في الجناز لدفن الضحايا بهدف تفادي الاحتكاك بين السكان خلال هذه التجمعات وبالتالي انتقال البواء وانتشاره، كما اعتبر المشرفي هذا الإجراء مسا خطيرا بقدسية الواقع الديني للجزائريين، ومحاولة فرنسة وطمس الهوية الإسلامية، بقوله: "وحدثنا من يوثق بهم، وقد حضر لهذا البواء بتلمسان أعادها الله كما كانت قبل دار إيمان وإحسان سنة (1267هـ/1850م)، أنّ الكفرة أخزاهم الله ودمرهم، نهوا المسلمين عن إخراج موتاهم للقبور بـ" لا إله إلا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا لهم: أرعبتم النصرى بمقاتلكم هذه وقطعوها عنهم، ولا زالوا يخرجون موتاهم ولا يذكرون أمامهم الشهادة". كما استنكر المشرفي قيام الأطباء بتشريح جثة إحدى ضحايا الكوليرا من منطلق عدم احترام حرمة الميت والإسراع بدفنه كما جرت به العادة (الفرقان، 2014، ص. 97).

ومن بين الإجراءات المتخذة أيضا من طرف السلطات (الفرنسية) آنذاك، والتي تضاربت حولها الآراء، مسألة تفريق التجمعات خلال فترة الأوبئة. حيث نجد العربي المشرفي يرفض جملة وتفصيلا رأي القائلين بمسؤولية اجتماع الناس خلال الحروب والمواسم الكبرى في نشر الوباء بقوله: "كما قالوا بزعمهم الفاسد أنّ سبب الوباء اجتماع الناس للملاحم فتراهم يفرقون جيوشهم فيه... وينهون عن اجتماع الجموع للمواسم في هذا الفصل الخريفي كموسمي البداوي والدسوقي المعلومين"، ليخلص إلى الجزم بالقول: "ولا زلنا نسمع باجتماع الناس في المواسم والملاحم ولا وقع بهم ما زعم حكماء الفلاسفة من الوباء في هذه المحافل السالفة" (حدوش، 2002، ص. 37).

ومن بين أهم الإجراءات البارزة بالجزائر خلال القرن 19م، هو ما كان يعرف بالعزل الصحي الذي صار إجباريا على الحجاج المغاربة عند عودتهم من المشرق (الكرنتينة). حيث أصبح المشرق العربي من بين المحطات الأساسية لانتقال الطاعون والكوليرا من الشرق إلى الغرب، خصوصا انتقال المرض مع الحجاج القادمين من آسيا إلى جموع الحجاج القادمين من مختلف الجهات الإسلامية ومنها دول المغرب (البزاز، 1992، ص. 153).

لقد "كانت القوافل البرية بمثابة محجر صحي متنقل تخدم الأوبئة تدريجيا في الصحاري مع طول مدة السفر، وكان على الحجاج المغاربة قضاء حوالي أربعة أشهر للعودة من الإسكندرية إلى بلادهم، كما كان عامل السرعة عاملا مهما في ومساعدتها على نشر تلك الأوبئة الفتاكة". ومع التطور الذي شمل الإصلاحات الصحية الأوروبية خلال القرن 19م، أصبح الحجر الصحي عاملا أساسيا لا يستغنى عنه ضمن اللوائح الصحية، ومحاولة فرضها على الدول المجاورة لاسيما دول شمال إفريقيا.

كما تعامل المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي بحذر مع التعليمات الصحية الخاصة بدفن الموتى بالطاعون والاحتياطات الوقائية التي أقرها الفرنسيون بمصر خلال خريف سنة 1798م. بقوله: "وفيه ربيع الثاني (1213هـ/1798م) نهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالتربة القريبة من المساكن كثرة الأزيكية والرويعي ولا يدفنون الموتى إلا في القرافات البعيدة... ونادوا أيضا بنشر الثياب والأمتعة والفرش بالأسطحة عدة أيام، وتبخير البيوت... ومن قولهم إن مرض مريض لابد من الإخبار عنه" (الفرقان، 2014، ص. 97).

وما يمكن الإشارة إليه في مجال التدابير الوقائية والإجراءات الاحترازية ونحن نبحث في كتب الرحالة المغاربة وجدنا نصا يثبت ويؤكد ما اتبعته بلادنا في مجال الحجر الصحي لمدة أربعة عشر

يوما، حيث نجد محمد بن عثمان المكناسي وهو يومئذ بسبته يقول: "وموضع الكرنتينة المذكورة خارج عن المدينة بين السوار... فأدخلونا المدينة وأنزلونا بدارهي أفضل ديارهم منسوبة إلى طاغيتهم وأخبرونا بهذا الخبر،... وقالوا لنا: تجعلون الكرنتينة بهذه الدار أربعة عشر يوما فقط على أعين الناس،... يبحثون عن مقتضياتنا (حوائجنا) ويتفقدون أحوالنا" (حدادي، 2001، ص. 45)

3. الأوبئة والأمراض: آراء ومواقف:

وفي القسم الثالث من كتاب الطاعون وبدع الطاعون، يرى الباحث حسين بوجرة أنّ إشكالية العدوى وبدعة التحرز من الطاعون واقع بين نص ديني وفعل سياسي وواقع تلقائي. "فقد تتبع معظم الأحاديث المقررة بالعدوى والرافضة لها، وما أثارته تلك القضايا من تأويلات وتخريجات فقهية، قبل أن ينتقل إلى البحث والكشف عن أوجه التداخل بين المقاربتين الطبية والفقهية، ولطالما كانت هاجسا أساسا لتمثيلات المغاربة عموما لوباء الطاعون. وهذه الثنائية مبنية على حقيقتان، فأما الحقيقة الأولى تتعلق بالخطاب، وهي مجموع التصورات والرؤى التي سادت طويلا في مجال علاقة العلم بالدين، والفقه بالطب، والمقدس بالمدنس، سواء تلك التي اعتبرت أنه لا حقيقة خارج النص الديني، ولا معرفة خارج المعرفة الدينية، ولا علم ولا طب إلا ذلك الذي مارسه الأنبياء والرسل، أو ما يعرف عند فقهاءنا بالطب النبوي.

أما الحقيقة الثانية فهي تتعلق بواقع تاريخي متميز بالغ التعقيد، اصطدمت به تلك الخطابات السائدة. وهي حقيقة تميز بها القرن الثامن عشر وحتى التاسع عشر بتونس على وجه الخصوص وببلاد المغرب على وجه العموم، من أبرز عناوينها النمو الديمغرافي الكبير الذي عرفته بلاد المغرب عموما. فرغم ما تميزت به بلاد المغرب من هدنة طاعونية، إلا أنّ هذا الاحراج كما يسميه حسين بوجرة؛ تسبب فيه هذا الواقع التاريخي الخاص بالقرن الثامن عشر للخطاب السائد آنذاك في الكتابات التاريخية الأوروبية سواء المصدريّة منها أو المرجعية، وكذلك للخطاب السائد لدى رجال الدين والفقه. والصراع الحاد الدائر بين مختلف النخب العالمة (العلمية الطبية والدينية الفقهية) وكذلك نخب المخزن والسياسة من جهة (بنعدادة، 2011، ص. 11-115).

هذه الثنائية وردت عن الرحالة الأوروبيين وفي الدراسات التاريخية الأوروبية، حيث نجد الطبيب "جان أندريه بايسونال" يسقط ثنائية خطاب الأوروبيين في متهات الخطاب والخطاب المضاد، فهو مثلا أثبت من ناحية سيطرة النزعة القدرية المتأصلة للسكان في تعاملهم مع كافة

الأمراض ومع الطاعون تحديداً، " فقد كانوا مستسلمين أمامه وصابرين على مشيئة الله.. دون ان يسعوا إلى التحرز أو إلى وضع حد له" (بنعدادة، 2011، ص. ص. 11-115).

اعترف في الآن ذاته بأهمية المساعي التي كان يقبل عليها البايات لمواجهة تفشي الطاعون، فهروب الباي محمد بن عثمان الكبير إلى الصحراء وإقامة محلته كحاجز لدفع الوباء، وهو الأمر عينه قام محمد باي تونس، وإقامته هو الآخر لحاجز متكون من الجمال يحيط بمحلته، ومن حراس كانوا يسهرون على منع أي اتصال خارجي.

إلى جانب الاجراء العلمي الذي قام به باي تونس والقائم أساسا على اقتناعه بدعوى المسيحيين القائلة بأن الطاعون معد، وبأنّ الحل يكمن في تجنب كل اتصال بالمصابين به. زد على ذلك سياسة العزل الصحيّة والتي تتنافى تماما مع ما ذهب إليه من " نزعة قدرية، واستسلام للمشيئة الالهية، وعدم السعي إلى التحرز، ووضع حد لتفشي الطاعون" (بنعدادة، 2011، ص. ص. 11-115).

ومن الإجراءات الصحية التي تضاربت حولها الآراء وتجادبت، مسألة تفريق التجمعات خلال فترات الأوبئة. إذ نجد العربي بن علي المشرفي ينبذ الرأي القائل بمسؤولية اجتماع الناس خلال الحروب والمواسم الكبرى في نشر الوباء، حيث يقول: " كما قالوا بزعمهم الفاسد إنّ سبب الوباء اجتماع الناس للملاحم، فتراهم يفرقون جيوشهم فيه إن لم يتفاجأهم عدو أو يحاصرهم، وينهون عن اجتماع الجموع للمواسم في هذا الفصل الخريفي كموسمي البداوي والدسوقي المعلومين عند أهل مصر، تفزع الناس إليهما نساء وصبياناً، كهولا وشباناً، رجالاً وركباناً". ويناقض في ذلك ما ورد عند محمد بن يحيى السوسي الذي صنّف التجمع في بعض المناسبات الاجتماعية ضمن الأسباب المهيجة للوباء ونصح قائلا: " وينبغي لمن نزل بهم الوباء ترك الاجتماعات المعتادة في الأفراح كالأعراس" (الفرقان، 2014، ص. 154).

غير أنّ الإجراء المتبع والبارز آنذاك في كامل البلاد المغربية تقريبا، لاسيما مع انضوائها تحت وطأة القوى الأوروبية، فهي خاضعة لقراراتها وإرادتها خلال القرن التاسع عشر، كان هو العزل الصحي الذي صار إجباريا على الحجاج المغربية الخضوع له عند عودتهم من بلاد الحجاز، وهو الاجراء الذي نصادف نعته في أدبيات الأوبئة "بالكرنتينة". ومع تطور التنظيمات الصحية الأوروبية خلال القرن التاسع عشر، أصبح الحجر الصحي ضرورة ملحة وركنا أساسيا في القوانين الصحية، وفرض على البلدان المجاورة كالمغرب وتونس.

مقابل هذه الآراء المتضاربة حول التدابير الصحية المتبعة آنذاك، اتخذ الفقيه حمدان بن عثمان خوجة موقفا إيجابيا من الحجر الصحي، وتناوله بالتفصيل ضمن مؤلف خاص حلل فيه هذا الاجراء من الجانبين الشرعي والطبي. ويعرّف المحجر الصحي وأهدافه الوقائية قائلا: "اشتهر في بلاد الفرنج الاحتماء عن الوباء، وأعدوا لذلك موضعا سمّوه "كرنتينة"، وحقيقتها إنّما الاحتماء والاحتراز". كما ردّ على منكري هذا الاجراء قوله: "ولما لم يتقدم مثل هذا النمط من الاحتماء للمسلمين، لم يكن للكرنتينة اسم إسلامي، ومجرد التسمية الفرنجية لا يكون سنداً للأحكام الشرعية" (الفرقان، 2014، ص. 157).

خاتمة:

ما يمكن أن نخلص إليه هو أنّ الأوبئة والأمراض وما يصحبها من مجاعات وكوارث طبيعية، أثّر على الوضعية الصحية لبلاد المغرب خلال الفترة الحديثة، ممّا جعل ظهور هذه الأوبئة والأمراض والمجاعات تتكرر من حين لآخر عبر فترات زمنية مختلفة؛ فتارة تنقطع وتارة أخرى تزداد حدتها وتكثر شدتها. مما كان له انعكاس واضح على الوضع الاقتصادي والاجتماعي للبلاد المغربية آنذاك، ومن ثمّ على الوضع السياسي. وهناك من اعتبره مظهرا من مظاهر البيئة المغربية، نظرا لتكرار ظهورها باستمرار.

إنّ موضوع الأوبئة والأمراض والمجاعات وغيرها من الكوارث الطبيعية، شكل عنصرا كرس ركود البنيات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وحكم على هياكله بالثبات، بمفهوم أوسع تعتبر تلك العوامل السالفة الذكر عوامل الهدر الديمغرافي، الذي أطر مجتمعات بلاد المغرب بداية من القرن الخامس عشر مروراً بالقرن السابع عشر ووصولاً إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. فبمجرد أن تحررت منه ساكنة المجتمعات الأوربية حتى دخلت مرحلة التحولات الكبرى على جميع الأصعدة، على خلاف مجتمعات بلاد المغرب.

ما يمكن الإشارة إليه هو أننا لابد أن نقرأ وباستفاضة كبيرة تلك المؤلفات للرحالة المغاربة والأجانب والقناصل ورجال الدين، لما فيها من إشارات ومعلومات مهمة، قد يستعين بها الباحث المتخصص. فموضوع التاريخ الديمغرافي اليوم شبه غائب تماما رغم فائدته وأهميته في فهم الكثير من الظواهر التاريخية. والذي من خلاله يمكننا أن نفهم تاريخنا فهما صحيحا والاحاطة بأسرار تحولاته الكبرى لاسيما في التاريخ الحديث. ولا نجد من تفسير لغياب هذا النوع من الأبحاث والدراسات إلا صعوبة الخوض فيه.

قائمة المراجع والمصادر:

1. ابن أبي الضياف، أحمد. (2000). إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، (ط1). الدار العربية للكتاب للنشر والتوزيع، تونس، ج3؛
2. إيميل، كيرن. (2011). رحلة مراقب صحي إلى المغرب 1911م، ترجمة وتقديم بوشعيب الساوري، (دط). منشورات القلم المغربي، المغرب؛
3. برنار روزنبرجي، وآخرون. (2010). المجاعات والأوبئة في المغرب القرنين 16 و17م، تر: عبد الرحيم حزل، (ط2)، دار الايمان، الرباط؛
4. البراز، محمد الأمين. (1992). تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، (ط1). منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة: رسائل وأطروحات رقم: 18، جامعة محمد الخامس، المغرب؛
5. بنعدادة، آسية. (2011). المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغرب، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الانسانية، منشورات عكاظ، الدار البيضاء؛
6. حدادي أحمد، (1999)، أخبار الأوبئة والأمراض في الرحلات السفارية المغربية (دط). كنانيش3، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة؛
7. حدوش، عبد الحميد. (2002). الهدر الديموغرافي في العالم الإسلامي: وسائله وحصيلته من خلال "أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، للعربي المشرفي، رسالة مرقونة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة؛
8. دخية، فاطمة، (2015/2014). الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه مخطوطة، تحت إشراف: أ.د. عبد الرحمن تبرماسين، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة بسكرة؛
9. الفرقان، حسن. (2014). أدبيات الأوبئة في المغرب القرن 19 نموذج اقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي، دراسة وتحقيق، (ط1). منشورات دار التوحيد، مطبعة سليكي أخوين، طنجة؛
10. القادري، محمد بن الطيب. (1984). نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق. (دط). دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ج1؛
11. القشاعي، فلة موساوي. (2001). وباء الطاعون في الجزائر العثمانية: دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله، مجلة دراسات إنسانية، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، ع1، ص: 141.
12. كرادية، إبراهيم. (2008). أمثلة من: مجاعات وأوبئة وكوارث ضربت أسفي وباديتها منذ الاحتلال البرتغالي وحتى عام البون، (ط1). جمعية أسفي للبحث في التراث الديني والتاريخي، المغرب؛
13. عمورة، عمار. (2002). موجز في تاريخ الجزائر، (دط). دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر؛
14. العنتري، محمد الصالح. (2009). فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، تح: يحي بوعزيز. (دط). عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر؛
15. العياشي، أبو سالم. (2006). الرحلة العياشية، تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي وآخرون، (ط1). دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة؛
16. المشرفي، أبو حامد العربي بن علي، (2017). مشموم عرار النجد والغيطان المعد لاستنشاق الوالي وأنفاس المولى السلطان، دراسة وتخرّيج، زينب حمودة وأولاد الفاضل العثماني. (ط1). دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط؛
17. المشرفي، أبو حامد العربي بن علي. نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن، في مناقب سيد أحمد بن محمد وولده الحسن، (مخطوط). الخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم: 5616؛
18. المشرفي، أبو حامد العربي بن علي. رحلة إلى شمال المغرب، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 3013؛
19. المشرفي، محمد بن محمد بن مصطفى. (2016). الحلل الهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ بعض مفاخرها غير المنتهية، (ط1). دراسة وتحقيق: إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقرق الرباط؛
20. مويط، الأسير. (1990). رحلة الأسير مويط، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، (ط1). مركز البحوث والدراسات العلوية الرّيصاني، وزارة الثقافة المغربية، دار المناهل للطباعة والنشر، المغرب؛

21. مسلم، بن عبد القادر. (1974). أنيس الغرب والمسافر، تج: راج بونار، (ط1). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر:
22. مكمان، محمد. (2014). الرحلات المغربية في القرنين (11-12هـ/17-18م)، (ط1). بحوث ودراسات، رقم: 72، كلية الآداب بالرباط، مطبعة الأمانة، الرباط، .، ص: 162.
23. المنصور، محمد. (1998). مصدر جديد لدراسة التاريخ الاجتماعي للمغرب عند مطلع القرن التاسع عشر: كناشة المشاط، متنوعات محمد حجي، (ط1). دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان:
24. اليفرنى، محمد الصغير. (1988). نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي. (ط1). مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء:
25. Boubaker, S., (1995). La peste dans les pays du Maghreb: attitudes face au fléau et impact sur les activités commerciales, 16/18 siècle, in RHM 2è année, no: 79-80 mai, p: 313
26. Bloch Dr., (1929). La peste en Tunisie, aperçu historique et épidémiologique; Tunis,
27. H.P.I. Renaud, (1939). les pestes du milieu du xviii siècle, Hesperis,
28. Lagueche A., (1993). Introduction au colloque sur la démographie historique maghrébine, CERE, Prod Tunis.
29. Marchika, Jean. (1927). La peste en Afrique septentrionale: histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830, Th. Méd. Alger,